مدرس المادة:
أ.م.د مصطفى كامل أحمد

جامعة الأنبار
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
المرحلة الرابعة

المحاضرة الثامنة عشرة
المذهب النحوي في بغداد.

أولاً : التقاء المذهبين(البصري و الكوفي).

كان لاهتمام الخلفاء في بغداد بالعلماء أكبر الأثر في انتشار النحو الكوفي فيها على يد الكسائي وتلاميذه، إذ ظل مسيطراً على مجالس الدرس فيهل لسنوات ؛لأنه كان مؤدباً لأولاد الخلفاء، وقد أدى هذا إلى نشوء صراع شديد بين البصريين حملة النحو البصري ذي السبق والأصالة ، والكوفيين الذين بنوا نحوهم على أصول الدرس البصري.

بدأ هذا الصراع منذ عهد المهدي العباسي الذي شجع الكسائي وأصحابه وقربهم وأبعد البصريين ،فكاد الكسائي لسيبويه في مجلس الخليفة مما أحزنه وتسبب في موته، فدفع ذلك الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) تلميذ سيبويه وشيوخه مدفوعاً بالحقد على الكوفيين لما فعلوه بأستاذه أن يرد إلى بغداد ليثأر من الكسائي ،محاولاً إذهاب هيبته في مجلس الخلافة ، لكن الكسائي بدهائه ونفوذه وأمواله استطاع أن يستميل الأخفش ويجعله مدرساً لأولاده ويرغبه بالمال، فاستقر في بغداد مناصراً الكسائي متأثراً بمنهجه مخالفاً سيبويه في مسائل كثيرة ترويها كتب النحو والصرف.

كذلك فعل المبرّد (ت٢٨٥هـ) الذي رحل من البصرة لاستدعاء المتوكل إياه إلى سامراء للإفتاء في مسألة نحوية ، واستطاع بدهائه أن يجذب إليه كثيراً من تلاميذ أبي العباس أحمد بن يحيى الكوفي الملقب بثعلب (ت ٢٩١هـ) فانحازوا إليه وانصرفوا عن كتب النحو الكوفي، بطلب المبرّد . وكان من أشهرهم :

أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ).

وكان لمنهج المبرّد الذي شاع في بغداد أثره في اجتذاب الدارسين إليه بما عُهد فيه من مقارنة بين مسائل المذهبين والترجيح بينهما ، وهو ما شاع في بغداد وعرف بالنحو البغدادي أو البغداديين.

ثانياً: أشهر الدارسين في المدرسة البغدادية

تكونت من رجال الشيخين المبرّد البصري وثعلب الكوفي طبقة جديدة من الدارسين تنوعت ميولهم ونزعاتهم واحتدم الصراع بينهم مدة من الزمن إلا أن الاختيار من المذهبين وعدم التوسط بين النزعتين هو الطابع الغالب، وبقي الأمر هكذا حتى توفي الشيخان – رحمهما الله – وخلا الدارسون إلى أنفسهم وعادوا إلى النحو فانكسرت حدّة العصبية ونظروا في الشواهد والأقيسة ونشأ عنهم نحو جديد فصاروا إلى فئات ثلاث:

١- من ظل اتجاهه بصرياً ، ومن أشهرهم : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) ،وأبو بكر محمد بن السري السراج (ت ٣٦١هـ) ،وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٢٧هـ)، وأبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت ٣٧٧هـ)، وابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ) الذي أخذ علمه عن أبي علي الفارسي.
٢- من ظل اتجاهه كوفياً ، ومنهم : أبو موسى سليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥هـ) من أصحاب أبي العباس ثعلب ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ).
٣- من خلط بين المذهبين البصري والكوفي واختار منهما، ومنهم : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٠هـ) ،وأبو الحسن محمد بن أحمد ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ)،وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير(ت ٣١٥هـ) ... وغيرهم.[١]

[١] انظر :تفصيل ذلك في كتاب المدارس النحوية للدكتورة خديجة الحديثية.